التغاضي عن المشكلة الرئيسية المطروحة حقيقة على ارض الواقع وهي مستقبل الفلسطينيين في اطار الوضع العسكري السياسي المسيطر للصهيونية . وهكذا يلجأ هركابي مرة اخرى الى قلب الادوار واستبدال الدفاع بالهجوم وتحويل موضوع الازمة الحقيقي الى موضوع مبدئي آخر لا تطرحه الموازين الحالية للقوى بنفس الحدة .

اما المادة الثانية عشرة فتقول : « الشعب الفلسطيني يؤمن بالوحدة العربية ولكي يؤدي دوره في تحقيقها يجب عليه في هذه المرحلة من كفاحه الوطني ان يحافظ على شخصيته الفلسطينية ومقوماتها ، وان ينمي الوعي بوجودها وان يناهض أيا من المشروعات التي من شأنها اذابتها او اضعافها » (الميثاق ص ٧) . وهركابي يرى فيها تناقضا مع المادة الرابعة التي تؤكد على اصالة وعدم زوال الشخصية الفلسطينية (ص ١٢٠) . وهذا التناقض ليس الا تناقضا شكليا . اما في الواقع فالترابط **الجدلي** عميق في الظروف الحالية بين التأكيد على الشخصية الفلسطينية وتميز الشعب الفلسطيني كطرف رئيسي في المطالبة بالحقوق القومية في البلد المحتل من جهة ، والتشديد على ترابط النضال الفلسطيني بالنضال العربي في المعركة الواحدة المتعددة الجبهات ضد السيطرة الامبريالية في المنطقة من جهة اخرى ، ومدى التركيز على الشخصية الفلسطينية او الجانب الوحدوي العربي يتوقف في كل حقبة على خصائصها المميزة .

فهكذا كان لا بد من الطرح الفلسطيني القوي في بداية النضال لابراز الضحية الاساسية للعملية الاستعمارية الصهيونية وحقوقها في النضال وتقرير المصير . كما انه لا بد من التأكيد على التعريب في مرحلة متقدمة يصبح فيها التلاحم الفلسطيني العربي ضرورة حيوية لبقاء واستمرار النضال من اجل التحرير .

اما عن الخصائص الاقليمية بشكل عام (لكل بلد عربي) ورؤية تناقضها مع النداء الوحدوي ، فهذه ايضا جزء من النظرة اللاجدلية للموضوع . فحتى في الاتحاد السوفياتي حيث تتعايش عشرات القوميات في اطار دولة واحدة ، لم تشكل الخصائص القومية المتباعدة بشكل اكبر عن الفروقات الاقليمية العربية عقبة امام احترام مزدوج لوحدة البلد وشخصية كل قومية .

اما المادة ٢٣ التي تقول بأن « دواعي الامن والسلم ومقتضيات الحق والعدل تتطلب من الدول جميعها ، حفظا لعلاقات الصداقة بين الشعوب واستبقاء لولاء المواطنين لاوطانهم ان تعتبر الصهيونية حركة غير مشروعة وتحرم وجودها ونشاطها » فيخرج منها هركابي باستنتاج غريب : ان الفلسطينيين التقدميين الذين ينادون بالاممية وازالة الحدود القومية يلجأون هنا الى موقف « قومي شكلي ضيق » بمنعهم (اليهود) من التعلق ببلد خارج حدود البلد الذي يعيشون فيه (ص ١٣١) .

وهذا بالطبع فهم غريب للاممية . بل هو نقيضها ويطلق عليه اسم آخر في القاموس اليساري « الكوسموبوليتية » . ولا بأس من التذكير باحدى عبارات الاشتراكي الفرنسي جان جوريس : « قليل من الاممية يبعدني عن بلدي وكثير من الاممية يعيدني اليه » . ذلك ان الاممية الحقيقية هي في العمل في بلد التواجد من اجل خدمة تطور مجتمعه وذلك اكبر اسهام في سبيل تطور وانتصار الانسانية . وهنا مرة اخرى لا بد من فهم **جدلي** للعلاقة بين خدمة الوطن والنضال القومي من جهة وخدمة قضية الشعوب والنضال الاممي من جهة اخرى .

ونحن هنا لا نناقش هركابي بقدر ما نستغل بعض التناقضات التي يقع فيها لتحديد قضايا نظرية وعملية متعلقة بها .

كلمة اخيرة : رغم الاطلاع على العديد من ادبيات المقاومة والسياسة العربية ، ورغم مسحة التجرد و« الموضوعية » التي يحاول الكاتب ان يضفيها على لغته ، فكتابات هركابي لا تخرج عن الاطار العام لعملية غسل الدماغ التي يقوم بها الاعلام الاسرائيلي والصهيوني بشكل دائم . وهركابي لا يتقدم بأي جديد على هذا الصعيد .

داود تلحمي